

الباب الثاني

أ. ترجمة ابن مالك

1. اسمه ونسبه

محمّد هو ابن مالك (نسب نفسه إلى جدّه لشهرته به وإلا فأبواه عبد الله)، فهو محمّد بن عبد الله بن مالك¹، وهو الإمام العلامة، الأوحّد، جمال الدين أبو عبد الله الطائي، الجياني، المالكي حين كان بالمغرب، الشافعي حين انتقل إلى المشرق، النحوي، نزيل دمشق، إمام النحاة، حافظ الأئمة وشيخ العربية، أمام أهل اللسان، وقدوة أرباب المعاني والبيان، صاحب التسهيل والألفية.²

2. مولده

ترددت كتب الأنساب والروايات قليلا في تحديد ميلاد ابن مالك، قال الذهبي: ولد سنة ستمائة أو إحدى ستمائة، وقال المقرئ في نفح الطوبى: ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها.

¹ عبد الله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، الطبعة الأولى، الجزء الأول، (دار المسلم، 1999) ص 17-18

² محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الجزء الأول، (المكتبة التوفيقية) ص 3

ويرى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة،³ وكلها من السنة الهجرية.

وولد بجيان- بفتح الجيم و تشديد الياء- بلد بالأندلس.⁴

3. نشأته

نشأ ابن مالك ببلد الأندلس، وكان سمة أهل الأندلس في ذلك الزمان أن يبدأ

حياة النشء بحفظ القرآن الكريم، والاهتمام بعلوم الدين ويتبع ذلك الاهتمام بلغة

القرآن الكريم وعلم القراءات.

كان ذلك وغيره له الأثر العظيم في تكوين شخصية ابن مالك العلمية، ويعتبر

القرآن الكريم هو النواة الأولى التي غرزت في عقل الصبي منذ نعومة أظافره، وكان بمثابة

اللبنة الأولى في البناء العلمي الضخم في شخصية ابن مالك بعد ذلك.

ومن الواضح أن ابن مالك لم يكن مستمعا جيدا للدرس فقط بل تعدى إلى

طريق البحث والتنقيب بمفرده والتدقيق والإمعان بالاعتماد على المراجع التي وقعت بين

يديه والاستعداد الفطري والموهبة وقوة التحصيل والفكر الحاد، ونستدل على أنه

اعتمد على نفسه اعتمادا كبيرا - وخاصة في تحصيل علم النحو- ما ذكره أبو حيان

³ المرجع نفسه، ص 3

⁴ عبد الرحمن علي سليمان، شرح وتحقيق توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، الطبعة الأولى، المجلد الأول، (القاهرة: دار

الفكر العربي، 1422هـ\2001م) ص 45

في كتابه النضار حيث قال: (بحث عن شيوخه فلم أجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه ويرجع في حل المشكلات إليه، إلا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان بجيان، وجلست في حلقة أبي علي الشلوين نحو من ثلاثة عشر يوما. ولم يكن ثابت بن حيان من الأئمة النحويين، وإنما كان من أئمة المقرئين).⁵

وزاد عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى المدرسان بوزارة المعارف المصرية في مقدمة كتاب ألفية ابن مالك على أن ابن مالك بعد أن نشأ بالأندلس رحل إلى دمشق واستزاد فيه من العلم، وأقام بها مدة يصنف ويشغل بالتعليم حتى أدركته منيته لاثنين عشرة خلت من شعبان سنة 672 هجرية.⁶

4. أخلاقه

كان ابن مالك جانب عظيم من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمات وكمال العقل والعفة. ومن مظاهر إخلاصه لله في عمله ما قيل من أنه كان يخرج على باب مدرسته ويقول: هل من راغب في علم الحديث أو التفسير أو كذا وكذا قد أخلصتها من ذمتي، فإذا لم يجد قال: خرجت من آفة الكتمان. وكان كريم الخلال

⁵ محمد بن علي الصبان، مرجع سابق، ص 4

⁶ عبد الفتاح الصعيدي و حسين يوسف موسى، مرجع سابق، ص 4

رزينا حيا وقورا جم التواضع على كثرة علمه شغوبا بالإفادة شديد الحرص على العلم والتعليم،⁷ وانفرد عن المغاربة بشيئين، بالكرم ومذهب الإمام الشافعي.⁸

5. شيوخه

ابتدأ ابن مالك حياته بالأندلس، فأخذ عن شيوخه ما أخذ وكانت دمشق مركزا علميا يحج، وتضرب إليه آباط الإبل، فسمت ابن مالك همته إلى ورود منابعها الصافية، فرحل إليها، وكانت بلدة حلب إحدى مكان تعلمه أيضا.⁹

فمن شيوخه في الأندلس، هم:

أ - ثابت بن حيان (وهو من أحد المقرئين).¹⁰

ب - أبو المظفر أو أبو الحسن ثابت بن خيار المعروف بابن الطيلسان (وهو من النحويين والمقرئين).

ج - أبو رزين ثابت محمد بن يوسف بن خيار (وهو من النحويين).

د - أبو العباس أحمد بن نوار (أخذ ابن مالك عنه القراءات).

هـ - أبو عبد الله بن مالك المرشاني (قرأ ابن مالك كتاب سيبويه عليه).

⁷ المرجع نفسه، ص 5

⁸ عبد الرحمن علي سليمان، مرجع سابق، ص 46

⁹ عبد الفتاح الصعيدي و حسين يوسف موسى، مرجع سابق، ص 4

¹⁰ عبد الرحمن علي سليمان، مرجع سابق، ص 45

ومن شيوخه في دمشق، هم:

أ - أبو الفضل نجم الدين مكرم بن محمد بن حمزة القرشي الدمشقي.

ب أبو صادق الحسن بن صباح المخزومي المصري.

ج أبو الحسن علي بن محمد السخاوي النحوي النحوي.

ومن شيوخه في حلب، هما:

أ - موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي البرايا محمد

بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن يحيى النحوي الحلبي المشهور بابن

يعيش.

ب أبو عبد الله جمال الدين محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد بن عمرو

الحلبي النحوي.

ج- وغيرهما في حلب.¹¹

ويقال إنه جلس عند أبي علي الشلوين نحوًا ثلاثة عشر يومًا. ونقل التبريزي في

أواخر شرح الحاجبية أنه جلس في حلقة ابن الحاجب واستفاد منه.¹²

ولم يقتصر ابن مالك على هؤلاء الشيوخ بل من المؤكد أن له شيوخًا آخرين، وأنه

لم يكتف بشيوخه الذين عايشهم وحضر مجالسهم، بل تطلع إلى أبعد من ذلك حيث

¹¹ محمد بن علي الصبان، مرجع سابق، ص 5

¹² عبد الفتاح الصعيدي و حسين يوسف موسى، مرجع سابق، ص 4

إنه اطلع على كتب السابقين وشرب من منهلهم، فقد قرأ كتاب سيبويه، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وأربى على المتقدمين.

ومما سبق تظهر لنا صورة مصغرة عن تحصيل ابن مالك للعلم سواء كان ذلك عن

طريق الشيوخ ومجالسهم والاستقاء المباشر من علمهم أو عن طريق التحصيل

والاطلاع على كتب السابقين، حتى كون ابن مالك شخصيته العلمية المتميزة التي

فاقت الأقران وأفرزت للبشرية علوما تعد مرجعا أساسيا إلى اليوم يتناولها البشر

بشغف، وهذا لا يتأتى باليسير لكن ابن مالك اختار الطريق الصعب وسهل عليه

ذلك الطريق ما تتمتع به شخصيته التي لا بد أن يتحلى بها أي باحث أو عالم وأن

ينهجوا نهجه من صبر وسعة الأفق والتأمل والاطلاع والعكوف على طلب العلم.¹³

6. تلاميذه

ومن بعض تلاميذه، هم:

1. الإمام النووي.¹⁴

2. الإمام بدر الدين بن محمد (ولد ابن مالك).

3. الشمس ابن أبي الفتح البعلی.

4. والبدر بن جماعة.

¹³ محمد بن علي الصبان، مرجع سابق، ص 5-6

¹⁴ عبد الفتاح الصعيدي و حسين يوسف موسى، مرجع سابق، ص 5

5. العلاء بن العطار.
6. محب الدين ابن جعوان.
7. زين الدين أبو بكر المزي.
8. الشيخ أبو الحسن اليونيني.
9. أبو عبد الله الصيرفي.
10. شهاب الدين محمود.
11. شهاب الدين بن غانم.
12. ناصر الدين بن شافع.
13. ابن المنجي.
14. بهاء الدين بن النحاس.
15. علم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي.

ولكن الحق يقال إن تلاميذ ابن مالك لم يقتصرُوا على الذين عايشُوا وحضروا
 مجالس علمه في بدمشق أو بالتربة العادلية أو بالجامع المعمور، لكن تلاميذه أكثر من
 ذلك بكثير وهم إضافة إلى ما ذكرنا الذين تتلمذوا على مؤلفاته وهم لا يعدون ولا
 يحصون فإلى اليوم يشربون من منهلِهِ وخاصة علم النحو والصرف وخير دليل على
 ذلك ما ذكر السيوطي في البغية عن الذهبي: (أقام بدمشق مدة يصنف ويشغل،

ويصدر بالتربة العادلة وبالجامع المعمور وتخرج به جماعة كثيرة وصنف تصانيف مشهورة، وروى عنه ابنه الإمام بدرالدين، والشمس ابن أبي الفتح البعلی، والبدر بن جماعة، والعلاء بن العطار، وخلق). وما قال المقری فی ذکر تلامیذ ابن مالک، حیث قال: (محب الدين ابن جعوان، وزین الدين أبو بكر المزني، والشيخ أبو الحسن اليونيني، وأبو عبدالله الصيرفي، وشهاب الدين بن غانم، وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم). وقد ذكر المقری أيضا فی نفح الطيب: (تخرج على ابن مالک أئمة ذلك الزمان كابن المنجي، وبهاء الدين بن النحاس وعلم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي).¹⁵

7. ابن مالک وحياته العلمية

ابن مالک العالم الرحالة الذي ارتحل من بلاد الأندلس إلى بلاد المشرق طالبا للعلم. وسبب ترحاله إلى الشرق يرجع للمناخ السياسي للأندلس في ذلك الحين، لأنه مناخ عقيم لا يشجع على الاستزادة في طلب العلم، وذلك لكثرة الفتن والحروب والصراعات، فالبينة لا تلهم العلماء فما بالك بشخصية ابن مالک التواقفة للعلم

¹⁵ محمد بن علي الصبان، مرجع سابق، ص 7-8

والتفكير والبحث والتناول. لذلك ارتحل ابن مالك شاباً من الأندلس إلى بلاد المشرق في أولى خطواته على طريق لمعان نجمه في سماء العلم.

وبالفعل كانت هذه الرحلة بمثابة حجر الأساس في صرح هذه الشخصية العلمية في بلاد المشرق خاصة بلاد الشام ومصر. وهنا تفجرت شخصيته كدارس وباحث ومحصل واعٍ ومحقق حاذق، فأقبل على العلم بكل كيانه وكرس كل ملكات عقله. حتى وقته لم يستنزف منه إلا للعلم والتحصيل فكان نهما شرها لهذه المهمة التي أولاها كل اهتمام وكل ما يملك، سواء كانت مادية أو عقلية، فصرف همهته وبصيرته للعلم والتأليف والبحث. فوهب نفسه ونذر كل ما يملك للعلم عن قناعة تامة بجدوى ما يقدمه للبشرية جمعاء.

وبعد تمام هذه المرحلة كانت شخصية ابن مالك قد تشبعت وتخصنت بكل أدوات العلم التي أعقبتها مرحلة أخرى، وهي ما تهمنا الآن، ألا وهي مرحلة التأليف والمراجعة وإعادة النظر وأصبح العصر الذي نضج فيه ابن مالك وبدأ التأليف فيه بمثابة نقطة تحول في تاريخ اللغة، فقد كانت المؤلفات اللغوية قبل ابن مالك صعبة الفهم وحشية اللغة، وكان الدارس لها يجد مشقة في الأخذ بها والاستفادة منها. ودخول ابن مالك مرحلة التأليف يعد انقلاباً ونقطة تحول في هذا المجال، لأن ابن مالك بمؤلفاته السهلة اليسيرة اللينة في اللغة وأسلوب التناول في علاج الموضوعات، ناهيك عن

أسلوب العرض الذي يتسم بالسلاسة وقرب المأخذ. ولا بد أن نضع في الاعتبار ما اتسم به علماء الأندلس عامة- ومنهم ابن مالك- من السلاسة السهولة في تعبيرهم وعرض الموضوعات وطريقة التناول ومعالجة الاختلافات.

فكان ابن مالك من أشهر علماء هذا العصر فقد كانت مؤلفاته تبهر عقول العلماء والدارسين حتى إنهم ولوا وجهتهم وعقولهم إلى مؤلفه (كتاب الشافية في) في النحو والصرف.

ومما يذكر عن تحول الناس لمؤلفاته ما رواه السيوطي في البغية -نقلا عن الصلاح الصفدي- ما ذكره تلميذه الشهاب محمود عن ابن مالك أنه قال: (وكان يقول عن الشيخ جمال الدين بن الحاجب أنه أخذ نحوه من صاحب المفصل وهو الزمخشري، وصاحب المفصل نحوي صغير قال: وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري! وكان الشيخ ركن الدين بن القويح يقول: إن ابن مالك ما خلى للنحو حرمة هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن الناس ولوا اهتماما بالغاً لمؤلفات ابن مالك وصرفوا همهم عن مؤلفات الزمخشري التي كانت صعبة التناول في لغة التأليف التي أجهدت عقولهم ووقتهم فكان كتاب (الكافية الشافية) فيه كافية العقول وشفافية النفس للدارسين).

وقد تطالعنا كتب الروايات ما يلخص لنا قيمة ابن مالك العلمية وطريقة درسه وتدريسه وتناوله وما يحكي عن اجتهاده وما نحن نختار منها بعض المقتطفات التي قد

تعيننا على فهم أدق لشخصية ابن مالك العلمية. وتكشف لنا عن حياة علم من
أعلام اللغة — خاصة — أنه رحل عنا منذ حوالي ثمانية قرون ومن قبلها ومن يومها ولا
يزال علمه إلى الآن وسوف يظل إلى ما شاء الله مرجعا أساسيا للمهتمين والمشتغلين
والدارسين تفيد وتكون عبرة ومثلا يحتذى.

ففي كلمة موجزة ذكرها المقري نقلا عن بعض من عرف بابن مالك: (أنه تصدر
بجلب مدة، وأم بالسلطانية، ثم تحول إلى دمشق، وتكاثر الطلبة، وحاز قصب السبق،
وصار يضرب به المثل في دقائق النحو وغوامض الصرف، وغريب اللغات، وأشعار
العرب، مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمات والصيانة، والتحري لما
ينقله، والتحرير فيه).

وكان ذا عقل راجح، حسن الأخلاق مهذبا، ذا رزانة وحياء ووقار، وانتصاب
للإفادة، وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان. وسارت بتصانيفه
الركبان وخضع لها العلماء الأعيان، وكان حريصا على العلم حتى إنه حفظ يوم موته
ثمانية شواهد). ثم قال في موضع آخر: (وكان - رحمه الله تعالى - كثير المطالعة، سريع
المراجعة لا يكتب شيئا من محفوظه حتى يراجعه في محله، وهذه حالة المشايخ الثقات
والعلماء الأثبات، ولا يرى إلا وهو يصلي أو يتلو أو يصنف أو يقرئ، وكذا كان
الشيخ أبو حيان، ولكن كان جده في التصنيف والإقراء، وحكي أنه توجه يوما مع

أصحابه للفرجة بدمشق، فلما بلغوا الموضع الذي أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه، ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق).

حقا إن شخصية ابن مالك يجب أن نقف عندها طويلا، والأمثلة التي تجسد أيضا شخصية ابن مالك العلمية ما ذكره الصفدي حيث قال: ومن أهم ما يذكر لابن مالك علاقته بالشعر وكيف كان يستشهد بأشعار العرب فذكر المقرئ عن ذلك: (وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا، وكان الأئمة الأعلام يتحIRON في أمره). فابن مالك له منهج في الاستشهاد بأشعار العرب فقد ذكر المقرئ فيها حبه في ذلك فقال: (لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، وإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب).¹⁶

وقصارى القول أن حياة ابن مالك العلمية مملوءة بالنشاطات العلمية. وأن ابن مالك عالم ورحالة الذي ارتحل من بلاد الأندلس إلى بلاد المشرق طالبا للعلم. وبعد تمام هذه المرحلة أنه يؤلف تأليفا كثيرة سهلة يسيرة ويدرس ويراجع ويعيد النظر، وبدأ تأليفه في تاريخ اللغة، وكان المؤلفات اللغوية قبله صعبة الفهم وحشية اللغة. وكان ذا عقل راجح، حسن الأخلاق مهذبا، ذا رزاة وحياء ووقار، وانتصاب للإفادة، وصبر

¹⁶ المرجع نفسه، ص 10-12

على المطالعة الكثيرة، وحريصا للعلم، وكان يستشهد على النحو واللغة بالقرآن الكريم، وإن لم يجد شاهدا عدل إلى الحديث، وإن لم يجد شاهدا عدل إلى أشعار العرب.

8. بعض مؤلفاته

ألف ابن مالك كتبا كثيرة، منها:

أ - مؤلفاته في النحو

1. الكافية والشافية.
2. الوافية في شرح الكافية.
3. الخلاصة، المشهورة بالألفية.
4. التسهيل، واسمه الكامل: تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد.
5. شرح التسهيل - لم يكمل (كمل ولده).
6. الموصل في نظم المفصل.
7. سبك المنظوم، وفك المختوم.
8. عمدة الحافظ، وعدة الالفاظ.
9. شرح عمدة الحافظ، وعدة الالفاظ.
10. إكمال العمدة.

11. شرح إكمال العمدة.
 12. شرح شواهد التوضيح، والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، أو إعراب مشكل البخاري.
 13. المقدمة الأسدية.
 14. شرح الجزولية.
 15. نكتة النحوية على مقدمة ابن الحاجب.
 16. مختصر الشافية.¹⁷
- ب مؤلفاته في الصرف
1. إيجاز التعريف: في علم التصريف.
 2. شرح تصريف ابن مالك، المأخوذة من كافيته.¹⁸
- ج- مؤلفاته في اللغة
1. نظم الفوائد.
 2. مثلثات ابن مالك المسماة: إكمال الإعلام، بمثلث الكلام.
 3. إكمال الإعلام بتثليث الكلام.
 4. ثلاثيات الأفعال.

¹⁷المرجع نفسه، ص 16-18

¹⁸المرجع نفسه، ص 18

5. لامية الأفعال.
6. شرح لامية الأفعال.
7. تحفة المودود: في المقصور والممدود.
8. شرح تحفة المودود.
9. الاعتضاد: في الفرق بين الظاء والضاد.
10. الاعتماد: في نظائر الظاء والضاد.
11. أرجوزة في الظاء والضاد.
12. النظم الأوجز: فيما يهمز، وما لا يهمز، وشرحه.
13. الوفاق في الإبدال.
14. كتاب الألفاظ المختلفة.
15. ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصل.
16. فتاوى في العربية.
17. منظومة: فيما ورد من الألفاظ بالواو والياء.
18. كتيب صغير لبيان ما فيه لغات ثلاث، فأكثر.
19. كتاب: فيما جاء أفعال وفعل.

20. مختصر في الإبدال.¹⁹

د- مؤلفاته في القراءات

1. المالكية في القراءات.

2. اللامية في القراءات.

هذه جملة لنا من مؤلفات ابن مالك وهي خير سفير له عبر الأجيال، ومن

خلالها يستطيع باحث أو طالب علم أو متخصص أن يستوعب بسهولة تلك

الشخصية والكم الهائل لمؤلفات ابن مالك مع تمييزها.²⁰

9. وفاته

توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء الثالث عشر من شعبان سنة 672

هـ،²¹ وقد ذكر الإمام السيوطي في قوله: (أنه توفي في التاريخ ثاني عشر من شعبان

سنة 672هـ)،²² وصلى عليه بالجامع الأموي، ودفن بسفح قاسيون²³ بتربة القاضي عز

الدين بن الصانع، وفي قول آخر بتربة ابن جعوان. وهذا مناسب بما ذكره المقرئ في

إشارة مكان وفاة ابن مالك ودفنه بقوله: (وتوفي ابن مالك بدمشق، ودفن ابن مالك

¹⁹ المرجع نفسه، ص 18 - 19

²⁰ المرجع نفسه، ص 19

²¹ عبد الرحمن علي سليمان، مرجع سابق، ص 47

²² محمد بن علي الصبان، مرجع سابق، ص 19

²³ عبد الرحمن علي سليمان، مرجع سابق، ص 47

بسفح قاسيون بتربة القاضي عز الدين بن الصانع، وقال العجيسي: بتربة ابن

جعوان).²⁴

وقد تأثر العلماء برحيل ابن مالك عظيم الأثر ويجسد هذا الحزن والتأثر ما قالوه

رثاءً له، وهم أخلص البشر في التعبير عما يجيش أو يخطر في صدورهم، ولعل هذا

الرثاء يفني حق ابن مالك أو بعض حقه، وقد رثاه الشرف الحصني بقوله:

يا شتات الأسماء والأفعال بعد موت ابن مالك المفضل

وانحراف الحروف من بعد ضبط منه في الانفصال والاتصال

مصدرا كان للعلوم بإذن ال له من غير شبهة ومحال²⁵

ومما يذكر عن ابن مالك يوم وفاته ما قاله بعض من عرّف به: (إنه حفظ يوم

موته ثمانية شواهد وفي عبارة بعض (أونحوها) - لقنه ابنه إياها وهذا ما يصدق ما قيل:

(بقدر ما تعنى تنال تتمنى) فجزاه الله خيرا عن هذه المهمة العلية).²⁶

رحم الله ابن مالك رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته، وجعل علمه مما ينتفع به

فيزداد في حسناته ويثقل به ميزانه.

²⁴ محمد بن علي الصبان، مرجع سابق، ص 19

²⁵ المرجع نفسه، ص 19

²⁶ المرجع نفسه، ص 21

ب. آراء العلماء عن كتاب ألفية ابن مالك

في هذا البحث جمع الباحث آراء العلماء عن كتاب ألفية ابن مالك، وسيدكر الباحث ثلاثة منهم، وهم: الأشموني، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، وعبد الله بن صالح الفوزان.

قال علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأشموني في مقدمة كتابه في الشرح على ألفية بن مالك، أن كتاب ألفية بن مالك (مهذب المقاصد، واضح المسالك، يمتزج بها امتزاج الروح الجسد، ويحلّ منها محلّ الشجاعة من الأسد، تجدد نشر التحقيق، من أدراج عباراته يعقب، وبدر التدقيق من أبراج إشارته يُشرق، خلا من الإفراط الممل، وعلى عن التفريط المخل، وكان بين ذلك قواماً)²⁷.

وقال الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر في مقدمة شرح وتحقيق كتاب توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك للمرادي، أن ألفية بن مالك (هي مقدمة مشهورة في ديار العرب، وجمع فيها مقاصد العربية وسمّاها {الخلاصة} في علمي النحو والصرف، أخذها ابن مالك من الكافية والشافية، جعلها في أرجوزة لطيفة مع الإشارة إلى مذاهب العلماء وبيان ما يختاره من الآراء أحياناً، وقد كثر إقبال العلماء على هذا الكتاب من بين كتبه بنوع خاص حتى طويت مصنفات أئمة

²⁷علي بن محمد بن عيسى الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الجزء الأول، (بيروت: دار الكتاب العربي) ص 3

النحو من قبله، وإنما اشتهرت بالألفية، لأنها ألف بيت في الرجز أولها. قال محمد هو ابن مالك # أحمد ربّي الله خيرَ مالِك²⁸.

وقد رأى عبد الله بن صالح الفوزان عن كتاب ألفية ابن مالك بقوله: (جاءت ألفية ابن مالك شاملة لأبواب النحو. منظمة الأبواب. سهلة الاستيعاب جمع فيها خلاصة ما أورده في الكافية).²⁹

وزاد عبد الله بن صالح الفوزان رأيه في ذكر مميزات كتاب ألفية ابن مالك بقول: وقد امتازت بمميزات نذكر منها ما يلي:

1. بيان الحالات الأصلية والفرعية. وما جاء بخلاف ذلك. كقوله في باب الفاعل:

وَالْأَصْلُ فِي الْفَاعِلِ أَنْ يَتَّصِلَا وَالْأَصْلُ فِي الْمَفْعُولِ أَنْ يَنْفَصِلَا

وَقَدْ يُجَاءُ بِخِلَافِ الْأَصْلِ وَقَدْ يَجِي الْمَفْعُولُ قَبْلَ الْفِعْلِ

وقوله في باب الابتداء:

وَالْأَصْلُ فِي الْإِخْبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَ وَجَوِّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَارَ

2. الإشارة إلى بعض المسائل الإعرابية التي هي بمثابة قاعدة. كقوله في باب

الابتداء:

مُبْتَدَأٌ زَيْدٌ وَعَاذِرٌ خَبَرٌ إِنْ قُلْتَ زَيْدٌ عَاذِرٌ مَنِ اعْتَذَرَ

²⁸عبد الرحمن علي سليمان، مرجع سابق، ص 48

²⁹عبد الله بن صالح الفوزان، مرجع سابق، ص 10

وَأَوَّلُ مُبْتَدَأٍ وَالثَّانِي فَاعِلٌ أَغْنَى فِي أَسَارِ ذَانِ

وقوله في باب نعم وبئس:

وَيَذْكَرُ الْمَخْصُوصُ بَعْدَ مُبْتَدَأٍ أَوْ خَبَرَ اسْمٍ لَيْسَ يَبْدُو أَبَدًا

3. بيان الأوجه الخلافية كقوله في باب التوكيد:

وَإِنْ يُفَعَّلُ تَوْكِيدٌ مَنكُورٌ قَبْلَ وَعَنْ نُحَاةِ الْبَصَرَةِ الْمَنْعُ شَمِلَ

وقوله في باب التنازع:

إِنْ عَامِلَانِ اقْتَضِيَا فِي اسْمٍ عَمَلٌ قَبْلُ فَلِلَّوَاحِدِ مِنْهُمَا الْعَمَلُ

وَالثَّانِ أَوْلَى عِنْدَ أَهْلِ الْبَصَرَةِ وَاخْتَارَ عَكْسًا غَيْرُهُمْ ذَا أَسْرِهِ

4. الاستغناء بالأمثلة عن ذكر القاعدة أو ذكر الشروط. وهذا كثير فيها وهو من

باب التعريف

بالمثال. ومن ذلك قوله في باب الابتداء:

وَلَا يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ مَا لَمْ تُفَعَّلْ كَعِنْدَ زَيْدٍ نَمْرَهُ

وَهَلْ فَتَى فَيْكُمْ فَمَا خِلَ لَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدَنَا

وَرَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلٌ بِرٍّ يَزِينُ وَلْيُقَسِّمْ مَا لَمْ يُقَلِّ

5. إعطاء الأحكام المضادة لبعض المسائل، كقوله في باب أفعال المقاربة:

وَكُونُهُ بِدُونِ أَنْ بَعْدَ عَسَى نَزَرَ وَكَادَ الْأَمْرُ فِيهِ عَكْسًا

وقوله في باب إنَّ:

لَأَنَّ أَنْ لَيْتَ لَكِنَّ لَعْلَ كَأَنَّ عَكْسُ مَا لَكَانَ مِنْ عَمَلٍ

6. الاختصار بعدم تكرار حرف العطف كقوله في باب كان:

تَرْفَعُ كَانَ الْمُبْتَدَأُ اسْمًا وَالْخَبَرُ تَنْصِبُهُ كَكَانَ سَيِّدًا عُمَرُ

كَكَانَ ظَلَّ بَاتَ أَضْحَى أَصْبَحَا أَمْسَى وَصَارَ لَيْسَ زَالَ بَرَحَا

وقوله في باب حروف الجر:

هَآكَ حُرُوفُ الْجَرِّ وَهِيَ مِنْ إِلَى حَتَّى خَلَا حَشَا عَدَا فِي عَنْ عَلَى

مُدُّ مُنْدُ رَبُّ اللَّامُ كَيَّ وَآوُ وَتَا وَالْكَافُ وَالْبَا وَلَعْلَ وَمَتَّى

7. ظهرت شخصية الناظم فأبدى رأيه صريحاً في بعض المسائل. كقوله في باب

النكرة والمعرفة:

وَصِلَ أَوْ افْصَلَ هَاءَ سَلْنِيهِ وَمَا أَشْبَهُهُ فِي كُنْتُهُ الْخُلْفُ انْتَمَى

كَذَاكَ خِلْتَنِيهِ وَاتَّصَلَا اخْتَارُ غَيْرِي اخْتَارَ الْإِنْفَصَالَا

وقوله في باب العطف:

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفُضٍ لِأَزْمَا قَدْ جُعِلَا

وَلَيْسَ عِنْدِي لِأَزْمَا إِذْ قَدْ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّشْرِ الصَّحِيحِ مُثَبَّتَا

8. الإشارة إلى الأصح أو المختار أو الأشهر أو القليل ونحو ذلك. كقوله في باب

المعرب والمبني،

وهو يتحدث عن الأسماء الستة:

أَبٌ أَحْ حَمٌ كَذَاكَ وَهَنٌْ وَالنَّقْصُ فِي هَذَا الْآخِرِ أَحْسَنُ

وَفِي أَبٍ وَتَالِيَيْهِ يَنْدُرُ وَقَصْرُهَا مِنْ نَقْصِهَا أَشْهَرُ

وقوله في آخر باب النعت:

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقْلٌ يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلُّ

وقوله في باب أفعال المقاربة:

وَمِثْلُ كَادَ فِي الْأَصَحِّ كَرَبًا وَتَرَكُ أَنْ مَعَ ذِي الشُّرُوعِ وَجَبًا

وقوله في الباب نفسه:

وَالْفَتْحُ وَالْكَسْرُ أَجْزُ فِي السَّيْنِ مِنْ نَحْوِ عَسَيْتُ وَانْتَقَا الْفَتْحُ زُكُنُ

إلى غير ذلك مما هو بين لدارس الألفية المتأمل فيها.³⁰

وزاد عبد الله بن صالح الفوزان رأيه عن كتاب ألفية ابن مالك بقوله: وقد

اشتهرت الألفية وحفظها الطلاب لبساطة نظمها وسهولة فهم معانيها، ولأنَّ ترتيبها

³⁰المرجع نفسه، ص 10 - 13

ملائم للطلاب في التدرج في دراسة النحو، كما أنها حظيت باهتمام العلماء. فمنهم من

شرحها. ومنهم من نثرها، ومنهم من أعربها.³¹

وقد قيل في مدح كتاب ألفية ابن مالك:

لألفية الحبر ابن مالك بهجةً على غيرها فاقت بألف دليل.³²

ج. البحث العام عن المبتدأ والخبر

1. التعريف

المبتدأ والخبر هما اسمان تتألف منهما جملة مفيدة،³³ نحو: (الكتابُ نافع)،

و(الأدبُ أساسُ النجاح).

وقد عرّف علي الجارم ومصطفى أمين المبتدأ والخبر في كتابه النحو الواضح، أن

(المبتدأ هو اسم مرفوع في أول الجملة)، و (الخبر هو اسم مرفوع يكوّن مع المبتدأ جملة

مفيدة)³⁴.

³¹المرجع نفسه، ص 13

³²المرجع نفسه، ص 13

³³مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007) ص 179

³⁴علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح، الجزء الأول (سورابايا: مكتبة الهداية) ص 36

والسيد أحمد الهاشمي قد عرّف المبتدأ والخبر في كتابه القواعد الأساسية للغة العربية، أن (المبتدأ هو الاسم الصريح، أو المؤول به، المجرد من العوامل اللفظية)، و(الخبر هو الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة مفيدة).³⁵

والشيخ جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري قد عرّف أيضاً المبتدأ والخبر في كتابه شرح قطر الندى وبلّ الصدى، أنّ (المبتدأ هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية للإسناد).³⁶ و(الخبر هو المسند الذي تتم به مع المبتدأ فائدة).³⁷

ومن هذه التعريفات يريد الباحث أن يجمعها أن المبتدأ هو الاسم المرفوع الصريح أو المؤول به، الخالي من العوامل اللفظية للإسناد وغالبا يقع في أول الجملة، والخبر هو الاسم المرفوع المسند الذي تتم به مع المبتدأ فائدة تامة، مثل: (الكريم محبوب) فالكريم: مبتدأ مرفوع وهو من المبتدأ الصريح، ومحبوب: خبر مرفوع، و(وأن تصوموا خير لكم).³⁸ أن تصوموا: مبتدأ مؤول في محل رفع المبتدأ، خير: خبر مرفوع.

2. أحكام المبتدأ والخبر

للمبتدأ خمسة أحكام:

³⁵ السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص 125
³⁶ جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، قطر الندى وبلّ الصدى (بيروت: دار الفكر، 2009)، ص 154
³⁷ المرجع نفسه، ص 154
³⁸ سورة البقرة، الآية: 184

الأول: وجوب رفعه. وقد يجزى بالباء أو من الزائدتين، أو بربّ، التي هي حرف

جرّ شبيهه بالزائد. فالأول نحو: بحسبك الله، والثاني

نحو:)

39 (3)

(والتقدير في الآية الأولى: فعمله لنفسه، وإساءته عليها)، فيكون المبتدأ، وهو

العمل والإساءة، محذوف، والجار متعلق بخبره المحذوف. والتقدير في الآية الثانية: (هذه

سورة).

الرابع: وجوب حذفه وذلك في أربعة مواضع:

1. إن دل عليه جواب القسم، نحو: (في ذمتي لأفعلن كذا)، أي: في ذمتي عهد

أو ميثاق.

2. إن كان خبره مصدرا نائباً عن فعله نحو: (صبرٌ جميلٌ) و(سمعٌ وطاعةٌ)، أي:

صبري صبرٌ جميلٌ، وأمرى سمع وطاعة.

3. إن كان الخبر مخصوصاً بالمدح أو الذم بعد (نعم و بئس) مؤخراً عنهما، نحو:

(نعم الرجالُ أبو طالب، وبئس الرجلُ أبو لهب)، فأبو، في المثالين، خبر لمبتدأ

محذوف تقديره: (هو).

4. إن كان في الأصل نعتاً قطع عن النعتية في معرض مدح أو ذم أو ترحم، نحو:

(خذ بيد زهير الكريم) و(دع مجالسة فلان اللئيم)، و(أحسن إلى فلان

المسكين).

(فالمبتدأ محذوف في هذه الأمثلة وجوبا. والتقدير: هو الكريم، وهو اللئيم، وهو المسكين. ويجوز أن تقطعه عن الوصفية للنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره في الأول: أمدح، وفي الثاني: أذم، وفي الثالث: أرحم).

الخامس: إن الأصل في المبتدأ أن يتقدم على الخبر وقد يجب تقديم الخبر عليه، وقد يجوز الأمران.⁴²

وأما أحكام خبر المبتدأ سبعة:

الأول: وجوب رفعه.

الثاني: أن الأصل فيه أن يكون نكرة مشتقة. وقد يكون جامدا. نحو: (هذا

حجر).

الثالث: وجوب مطابقته للمبتدأ إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا.

الرابع: جواز حذفه إن دل عليه دليل، نحو: (خرجت فإذا الأسد)، أي: فإذا

الأسد حاضر، وتقول: (من مجتهد؟) فيقال في الجواب: (زهير) أي: (زهير مجتهد)، ومنه

قوله تعالى: ()

⁴² مصطفى الغلاييني، مرجع سابق، ص 179 - 183



⁴³ أي: وظلها كذلك.

الخامس: وجوب حذفه في أربعة مواضع:

1. أن يدل على صفة مطلقة، أي: دالة على وجود عام، وذلك بأن تكون بمعنى

كائن أو موجود أو مستقر أو حاصل.

وذلك في مسألتين، الأولى: أن يتعلق بها ظرف أو جارّ مجرور، نحو: (الجنة تحت

أقدام الأمهات) أي: الجنة كائنة أو موجودة. و(العلم في الصدور) أي: العلم كائن أو

موجود. والثانية: أن تقع بعد لو لا أو لوما، نحو: (لو لا الدين لهلك الناس) أي: لو لا

الدين موجود. و(لو ما الكتابة لضاع أكثر العلم) أي: لو ما الكتابة موجودة.

2. أن يكون خبراً لمبتدأ صريح في القسم، نحو: (لعمرك لأفعلن) التقدير: لعمرك

قسمي،

أي: حياتك هي قسمي. ونحو: (أيمن الله لأجتهدن) التقدير: أيمن الله قسمي. وأيمن

كلمة موضوعة للقسم.

3. أن يكون المبتدأ مصدراً، أو اسم تفضيل مضافاً إلى مصدر، وبعدهما حال لا

تصلح أن تكون خبراً، وإنما تصلح أن تسدّ مسدّ الخبر في الدلالة عليه. فالأول

وأما الخبر ينقسم إلى قسمين: مفرد وغير مفرد.⁴⁷

فالخبر المفرد : هو ما كان غير جملة، وإن كان مثني أو مجموعا، نحو: (المجتهد

محمود، والمجتهدان محمودان، والمجتهدون محمودون).

وهو إما جامد، وإما مشتق.

والمراد بالجامد ما ليس فيه معنى الوصف، نحو: (هذا حجر). وهو لا يتضمن

ضميرا يعود إلى المبتدأ، إلا إذا كان في معنى المشتق، فيتضمنه، نحو: (علي أسد).

(فأسد هنا بمعنى شجاع، فهو مثله يحمل ضميرا مستترا تقديره (هو) يعود إلى

علي، وهو ضمير الفاعل.

والمراد بالمشتق ما فيه معنى الوصف، نحو: (زهير مجتهد). وهو يتحمل ضميرا يعود

إلى المبتدأ، إلا إذا رفع الظاهر، فلا يتحمل، نحو: (زهير مجتهد أخواه).

(فمجتهد، في المثال الأول، فيه ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى زهير، وهو

ضمير الفاعل. أما في المثال الثاني فقد رفع (أخواه) على الفاعلية فلم يتحمل ضمير

المبتدأ).

والخبر غير مفرد ينقسم إلى قسمين: الجملة و شبه الجملة.

⁴⁵ سورة البقرة، الآية: 184

⁴⁶ مصطفى الغلاييني، مرجع سابق، ص 183

⁴⁷ محمد بن محمد الصنهاجي، متن الآجرومية بلغة التيممة (سورابايا: الهداية)، ص 20

فالخبر الجملة: ما كان جملة فعلية، أو جملة اسمية، فالأول نحو: (الخلق الحسن يُعلي قدر صاحبه) فالخلق مبتدأ، والحسن صفة، وجملة يعلي جملة فعلية خبره. والثاني نحو: (العامل خلقه حسن) العامل مبتدأ أول، وخلقه مبتدأ ثان، وحسن خبر المبتدأ الثاني، وجملة المبتدأ الثاني وخبره جملة اسمية خبر المبتدأ الأول.⁴⁸

فالخبر شبه الجملة: ما كان جازاً أو مجروراً، أو ظرفاً ومظروفاً، فالأول نحو: (زيد في الدار)، والثاني نحو: (زيد عندك).⁴⁹

4. وجوب تقديم المبتدأ

الأصل في المبتدأ أن يتقدم. والأصل في الخبر أن يتأخر. وقد يتقدم أحدهما وجوباً، فيتأخر الآخر وجوباً.

ويجب تقديم المبتدأ في ستة مواضع:

الأول: أن يكون من الأسماء التي لها صدر الكلام، كأسماء الشرط، نحو: (من يتَّقِ الله يُفلح)، وأسماء الاستفهام، نحو: (من جاء؟)، و(ما) التعجبية، نحو: (ما أحسن الفضيلة!) وكم الخبرية نحو: (كم كتاب عندي!).

⁴⁸ مصطفى الغلاييني، مرجع سابق، ص 186

⁴⁹ محمد بن محمد الصنهاجي، مرجع سابق، ص 21

52 (المعنى ما أنت

53 إلاًندير.

5. وجوب تقديم الخبر

يجب تقديم الخبر على المبتدأ في أربعة مواضع:

الأول: إذا كان المبتدأ نكرة غير مفيدة، مخبرا عنها بظرف أو جار ومجرور، نحو:

(في الدار رجل)، و(عندك ضيف)، ومنه قوله تعالى:

54 (وقوله:

)

55 (

الثاني: إذا كان الخبر اسم استفهام، أو مضافا إلى اسم استفهام، فالأول، نحو:

(كيف حالك؟) كيف اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم، وحالك مبتدأ مؤخر. والثاني

52 سورة هود، الآية: 12

53 مصطفى الغلاييني، مرجع سابق، ص 188

54 سورة ق، الآية: 35

55 سورة البقرة، الآية: 7

نحو: (ابن من أنت؟) ابن خبر مقدم، وهو مضاف إلى (من) الاستفهامية. وأنت مبتدأ مؤخر في محل رفع.

الثالث: إذا اتصل بالمبتدأ ضمير يعود إلى شيء من الخبر نحو: (في الدار صاحبها)، ومنه قوله تعالى:

)

56 (📖) .

الرابع: أن يكون الخبر محصوراً في المبتدأ. وذلك بأن يقترن المبتدأ بإلاً لفظاً، نحو: (ما خالق إلا الله)، أو معنى، نحو: (إنما محمود من يجتهد).⁵⁷

⁵⁶ سورة محمد، الآية: 24

⁵⁷ مصطفى الغلاييني، مرجع سابق، ص 189 - 190